

الفصل العاشر

نابليون بونابرت وعصره

ولد بونابرت فى عام ١٧٦٩ فى مدينة "أجاسيو" عاصمة "كورسيكا" الواقعة بين إيطاليا وفرنسا، واتجهت ميوله منذ حداثته سنة إلى الخشونة وأعمال الحرب فبينما كان أخوته يشتركون لعبا عادية ويرسمون على الجدران وجوها آدمية وحيوانات نراه يشترى بمصروفه سيفاً صغيراً ونغيراً ويرسم على الحوائط صفوفا متراسة من الجند وكأنها فى حومة الوغى، وإلى جانب ذلك فقد برزت عليه حب الزعامة، فكان بونابرت يجمع رفاقه ويقسمهم قسمين يجعل نفسه على رأس أحدهما ويجعل على رأس الفريق الثانى أصليهم عوداً وقواهم بنية، ثم يأمر كل فريق بالهجوم على الآخر فتدور معركة بالأيدى والطوب والعصى وتظل ناشبة حتى يفر الفريق الآخر من أمامه، فيقف مزهوا يثنى على همة الشجعان من مجموعته وينهال بالضرب على فائر العزيمة أو المقصر ثم يعود إلى منزله دامى الوجه واليدين ممزق الثياب فتتهره والدته فيلقاها باسمها بقوله لقد أنتصرت.^(١)

وقد أظهر بونابرت تفوقاً فى حياته الدراسية على أقرانه خصوصاً فى علوم الرياضيات والتاريخ السياسى، وتراجم سير القادة الزعماء، والجغرافيا، وبرزت عليه علامات النباهة والذكاء، وبعد النظر والأضطلاع بالمسئوليات الجسام.

وقد واصل بونابرت تعليمه حتى التحق بمدرسة باريس الحربية فى أكتوبر ١٧٨٤م، وهناك تفتحت عقريته العسكرية حيث بدأ العمل فى صمت، واعتكف على المطالعة والدرس والاجتهاد، وكان مما قرأه وتحمس له كتاب "العقد الاجتماعى" لجان جاك روسو، والذى قال عنه "لولا روسو ما حدثت الثورة الفرنسية وبعد تخرجه عين برتبة ملازم فى سلاح المدفعية، فبرز تميزه بالجلد وقدرته على التنظيم، واستعداده لتحمل المسئولية والقيادة، وإيمانه بأن الحق يؤخذ ولا يعطى وكان بحكم تكوينه محباً للنظام والقانون ومعادياً للفوضى، ومن هنا وجدت فيه كل قوة تعين على التكاتف الاجتماعى عونا ونصيراً.

(١) حسن الشريف: المأسى التاريخية الكبرى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦، ص ١١٩.

قلما قامت الثورة الفرنسية، كان بونايرت من اشد المدافعين عنها وعن أهدافها، كما كان من المتحمسين للفكر الجمهورى الثورى، ولأفكار أدباء القرن الثامن عشر أمثال فولتير ومونتسكيو وروسو.

وخلال أحداث الثورة، والصراع المرير فى فرنسا على السلطة ظهر طموح بونايرت الواسع، خصوصا بعد أن تزوج من جوزفين^(١) التى فتحت أمامه أبواب الشهرة والمجد، وقد برزت مهارة بونايرت وقدرته على مواكبة الأحداث، وظهر ذلك أثناء حصار طولون فى عام ١٧٩٣م وتمكنه من الاستيلاء على هذه المدينة وتخليصها من يد الانجليز.

وعندما تم اختياره قائدا لقوى الأمن الداخلى فى فرنسا أثناء حكومة الادارة تمكن من اعادة الهدوء والنظام إلى فرنسا، واكتساب ثقة الجماهير، والقضاء على المظاهرة التى قام بها الملكيون والعناصر المحافظة ضد المؤتمر الوطنى، كما كان السند الحقيقى لهذه الحكومة ولدستور عام ١٧٩٥ يضاف إلى ذلك أنه تمكن من انقاذ الحكومة من العناصر الملكية فى عام ١٧٩٧.

ولما كانت فرنسا محاطة آنذاك بأعداء كثيرين خصوصا بعد تصريحات زعمائها باستعدادهم لتأييد كل أمة تطالب بحريتها، مما اعتبره البعض تهديدا مباشرا لدول أوروبا الملكية مثل بريطانيا، وروسيا، وبروسيا فقد اعتبرت حكومة الادارة نفسها فى حالة حرب مع جيرانها خصوصا بريطانيا والنمسا، وشرعت فى رسم خططها لمحاربتهم، ونظرا لأن بريطانيا كانت محصنة بحريا، ولا يقوى الأسطول الفرنسى على الوصول إلى شواطئها، فقد تركزت الجهود لشن هجوم على الممتلكات النمساوية فى إيطاليا، فأرسلت حكومة الادارة عدة حملات إلى هذه المناطق فى عام ١٧٩٦ كانت أحداها تحت قيادة بونايرت الذى نجح فى أداء مهمته التى فشل القادة الآخرون فيها، ويرجع ذلك إلى قدرته الحربية الفائقة، ومهارته فى السياسة وتمكنه من اتخاذ القرارات فى الوقت المناسب وقدرته الواضحة على التمييز بين الممكن وغير الممكن فبعد أن وجد قواته أمام جيش مشترك من السردنيين والنمساويين تمكن من أن يعزل بينها وينزل الهزيمة بالسردنيين ويفرض عليهم الهدنة التى انسحبوا بمقتضاها من الحرب متخليين عن سافوى ونيس لفرنسا ثم زحف على ميلانو، وانتصر على النمساويين فى عدة معارك أهمها معركة ريغولى، وتقدم بونايرت إلى الحصن النمساوى الرئيسى فى إيطاليا وهو حصن

(١) لأملة الجنرال بوهارنيه أحد ضحايا حكم الارهاب وكان لها منزلة كبيرة فى قلوب الفرنسيين.

"مانتوا" العظيم الذى كانت تحميه مدفعية قوية، وتحيط به البحيرات والمستنقعات من معظم الجوانب، واستطاع الاستيلاء عليه.

ونتيجة لذلك اضطر النمساويون فى ١٧ من اكتوبر ١٧٩٧ إلى توقيع صلح "كامبوفورميو Compo Formio" وبمقتضاه تم التنازل لفرنسا عن الأراضي البلجيكية، وولاية الراين، واقامة جمهورية فى شمالى ايطاليا وأعطيت معظم الجزر الايونية لفرنسا، وهكذا نجح بوناپرت فى اخراج النمسا من الحرب، وعزل بريطانيا التى بقيت فى الميدان وحدها مما زاد من ثقته فى نفسه، وجعله فى نظر الشعب الفرنسى رجل فرنسا الأول، وبانت للعنلنا قيمة هذا البطل الذى برهن على مهارته السياسية إلى جانب راعته الحربية.

ولما اصرت حكومة الادارة على هزيمة بريطانيا قبل توقيع أى صلح معها أعدت جيشا أطلق عليه جيش انجلترا، ودرسته على غزو الجزر البريطانية، ولكن تفوق الأسطول البريطانى جعل ذلك المشروع ضربا من الخيال، ومن هنا أخذت حكومة الادارة تبحث عن نقطة ضعف فى غريمتها، وخلال ذلك أرسل "بوناپرت" إلى حكومة الادارة برقية يقول فيها (لأجل القضاء على انجلترا ينبغي غزو مصر) وكان بوناپرت يقصد بذلك أن مصر هى المركز الخطير الذى يمكن عن طريقه تهديد مركز الانجليز فى الهند، وقد انتهزت حكومة الادارة هذه الفرصة لابعاد بوناپرت عن مسرح الأحداث نظرا لما أصبح يتمتع به من شعبية جارفة، ومن ثقة الجيش فى قدراته، فكلفت بوناپرت باعداد حملة للاستيلاء على مصر، وطرد الانجليز من جميع ممتلكاتهم التى يستطيع الوصول إليها وقد سعد بوناپرت بهذا التكليف الذى كان يحقق حلمه بانشاء امبراطورية فى الشرق، وأعد العدة لذلك فأخذ معه من غير العسكريين مجموعة من العلماء، ووصلت الحملة إلى مصر فى عام ١٧٩٨، وتمكن بوناپرت خلالها من هزيمة المماليك، كما أذاع منشوره على المصريين، ولكن هذه الحملة كان مصيرها الفشل خصوصا بعد تحطيم الأسطول الفرنسى فى موقعة أبى قير، وانقطاع سبل الاتصال بين الحملة وفرنسا، وقطع الامدادات عن قوات بوناپرت، كما وجد بوناپرت نفسه منعزلا ومضطرا إلى الاعتماد على موارد مصر التى أرهقها المماليك من قبل كما فكر فى ضرب التحالف العثمانى الانجليزى، وتوسيع ممتلكاته وذلك بالزحف على سوريا، ولكن آماله تحطمت عند اسوار عكا، فانسحب إلى مصر متغلا بأول هزيمة خلال قيادته لقواته.

ولما بلغته الأنباء من أوروبا بهزائم بلاده وتدهور أحوالها، وتكوين تحالف دولي ضدها بزعامة بريطانيا، عقد العزم على مغادرة مصر إلى فرنسا وترك قواته تحت قيادة كليبر فبارح الاسكندرية سرا في ٢٣ أغسطس ووصل إلى فرنسا في ٩ أكتوبر ١٧٩٩. فكانت عودته بالنسبة للفرنسيين بمثابة عودة الأمل الضائع، ووصول الرجل المنتظر الذي يستطيع تصحيح أوضاع فرنسا، وإنقاذها من الفوضى والاضطراب الذي حل بها فاستقبل بحماسة شديدة، وحفت به الجماهير من كل جانب حيث ذكر الناس انتصاراته خلال حروبه في إيطاليا، وكان أمامه أولا التخلص من أعضاء حكومة الإدارة بطريقتين أما اغرائهم بالاستقالة أو استعمال القوة، ولما لم ينجح الحل الأول لجأ إلى القوة والعنف واستطاع الفوز بالسلطة بعد انقلاب برومير^(١) وأعلن عن نوع جديد من أنواع الحكم في فرنسا وهو النظام القنصلي.

لقد كان بوناپرت يعرف حق المعرفة أن النصر وحده هو الكفيل بأن يحفظ له المركز الذي فاز به.

ولما كان لا بد من اعطاء هذا الانقلاب صفة الشرعية فقد جرى تعديل الدستور حيث وضع لفرنسا دستورا جديدا وهو الدستور المعروف بدستور ١٧٩٩م، وقد جاء هذا الدستور مطابقا لأفكار ونظريات بوناپرت في الحكم، ولرغبته في الحكم الفردي، والتأييد الشعبي المطلق له، فجمع كل السلطات في يديه حتى يتمكن من بناء فرنسا الحديثة، وقد جعل "بوناپرت" نفسه مسئولا عن إنقاذ فرنسا من فوضى الصراعات الداخلية والمخاطر الخارجية لذلك وضع نفسه فوق كل الأحزاب ومن هنا قضى الدستور الجديد بوضع السلطة التنفيذية في يد ثلاثة قناصل يتم انتخابهم بواسطة مجلس الشيوخ، ويستمررون لمدة عشر سنوات، وقد تولى بوناپرت مركز القنصل الأول على أن يساعده في مهمته قنصلان آخران يقوم باختيارهما بنفسه، وكان دورهما يتركز في القيام بدور نواب القنصل الأول. وفي ظل النظام القنصلي نعم الفرنسيون بحياة أفضل، فأعيد الاستقرار وازدهر الاقتصاد، وتم تنظيم الجيوش، وأعيد الرخاء

(١) برومير معناه شهر الغيوم، وهو أحد الأشهر المتعارفة لدى رجالات الثورة الفرنسية بعد أن غيروا أسماء الشهور كلها، وسموها بأسماء أخرى جاعلين يوم ٢٢ سبتمبر بدء العام وهو تاريخ المناداة بالجمهورية. أما عن أسماء الشهور فقد قسموها على شهور السنة الأربعة كل فصل ثلاثة شهور، يتكون كل شهر من ٣٠ يوما فشهور الخريف كانت شهر المعاصر، وشهر الغيوم، وشهر الجليد وشهور الشتاء تكونت من شهر الثلج، وشهر المطر، وشهر الرياح وشهور الربيع هي شهر النبات، وشهر الزهر، وشهر الحقول وشهور الصيف كانت شهر المواسم، وشهر الحر، وشهر الأمطار وكان بضيقون بعد شهر الأمطار وهو آخر شهور السنة خمسة أيام في السنين غير الكبيسة، وستة أيام من السنين الكبيسة وتدعى هذه الأيام تكملة. وقد ظل هذا الحساب مستعملا في فرنسا حتى نهاية عام ١٨٠٥.

لكل مرافق الدولة، وإلى جانب ذلك فقد تقرر أن يتولى وضع القوانين فى فرنسا ثلاث هيئات هى:-

- ١- مجلس الشيوخ المحافظين ويتكون من ستين عضوا يختارهم القناصل وتتخصص مهمتهم فى الاشراف على تطبيق أحكام الدستور، وانتخاب اعضاء مجلس التربيون والجمعية التشريعية.
- ٢- مجلس التربيون ويضم مائة عضو مهمتهم دراسة مشروعات القوانين المقترحة ومناقشتها.
- ٣- الجمعية التشريعية وتضم ثلاثمائة عضو ومهمتهم الادلاء باصواتهم بشأن المقترحات التى ترد إليهم من مجلس التربيون.

ولما عرض هذا الدستور على الشعب وافق عليه بأغلبية ساحقة، وعلى الرغم من أن هذا الدستور وضع كل السلطات فى يد بونابرت تقريبا، فقد وفر للفرنسيين حياة مستقرة كما أن ثقة الفرنسيين فى شخصه والأمال العريضة التى علقوها عليه جعلتهم يعطونه كامل ثقتهم، بمعنى أن بونابرت الذى سلب من الشعب الفرنسى سلطانه السياسى، منحه نعمة المساواة بين طبقاته، كما فتح أمامه أبواب التقدم إلى أرقى المناصب وكان من أبرز المشاكل التى أراد بونابرت حلها هى كسر شوكة أعداء فرنسا وهزيمتهم خصوصا النمسا وبريطانيا بعد أن تطاولوا على بلاده فى غيابه فقد هاجم النمساويين الذين كانوا قد أعادوا احتلال إيطاليا، وانزل بهم هزيمة ساحقة وأعاد بذلك سيطرته على إيطاليا، ونجح فى تحطيم التحالف الأوروبى الثانى ضد بلاده، وقد أثارت أخبار هذا النصر موجة عارمة من الحماس داخل فرنسا أدت إلى توطيد نفوذ بونابرت السياسى.

وبذلك وقفت بريطانيا وحدها فى الميدان، وقد حاول بونابرت تأليف قوة بحرية كبيرة من البلطيق مكونة من الدنمارك والسويد وبروسيا والروسيا فى ديسمبر ١٨٠٠ استعدادا لمحاربة بريطانيا، ولكن الانجليز تمكنوا من تدمير هذه القوة بهزيمتهم للأسطول الدنماركى، وخلال ذلك مات قيصر الروسيا مما أدى إلى انقراض عقد التحالف.

ولما اتضح للطرفين أن الحروب لم تنته بينهما بسهولة ونتيجة لتعرض بريطانيا لمشاكل داخلية صعبة ولشعور بونابرت بأهمية الوصول للتفاهم مع بريطانيا حتى يتمكن من

تأكيد سيطرته على أوروبا كل ذلك ساعد على قناعة الطرفين بوضع حد للصراع بينهما وبضرورة اللجوء إلى المفاوضات وانتهى الأمر بعقد صلح أميان Amiens في ١٧ مارس ١٨٠٢ والذي تناولت فيه إنجلترا عن كل الفتوحات التي كسبتها على حساب فرنسا وكان أهم نصوصه ما يلي:-

- ١- اعتراف بريطانيا بحدود فرنسا الطبيعية.
- ٢- اعتراف بريطانيا بضم فرنسا لبلجيكا، وقسم من هولندا وارضى الضفة اليسرى لنهر الراين.
- ٣- بقاء النفوذ الفرنسي في إيطاليا.
- ٤- تنازل بريطانيا عن جزيرة مالطة لأصحابها الشرعيين.
- ٥- تنازل بريطانيا عن المستعمرات التي أخذتها من فرنسا في هولندا وأسبانيا.
- ٦- تعهد فرنسا بالانسحاب من مصر واعادتها للعثمانيين وبالجلاء عن نابلي والأراضي البابوية.

وهكذا أعطى هذا الصلح مكاسب ضخمة للفرنسيين، وجاءت نصوصه متفقة مع الأمر الواقع باستثناء تعديلات بسيطة، وإذا كان البعض قد اعتبر هذا الصلح بمثابة نهاية لعصر الحروب بين بريطانيا، وفرنسا فإنه في الحقيقة لم يكن سوى هدنة مؤقتة بين الطرفين. هذا عن المكاسب الخارجية التي جلبها بونابرت لبلاده، أما عن المكاسب الداخلية فقد عمل بونابرت على إرضاء جماهير الشعب الفرنسي مقتنعا بأن الاتحاد أساس العظمة القومية وأنه سر النظام الاجتماعي، فعمل على إيجاد اتفاق بين فرنسا والكنيسة. وبعد مفاوضات طويلة أمكن التوصل إلى اتفاق "الكنكرات" في ١٦ يوليو ١٨٠١م. في عهد البابا "بيوس السابع" وبمقتضاه اعترفت فرنسا بالكنيسة الكاثوليكية وسيادتها الروحية مع السماح للسلطات الحكومية بالتدخل لفرض النظام والأمن بالقوة إذا اقتضى الأمر، وفي مقابل ذلك اعترفت الباباوية بالقوانين التي صدرت في عهد الثورة الفرنسية والخاصة بالكنيسة على أن تقوم الحكومة الفرنسية بدفع مرتبات رجال الدين، ويقوم القنصل الأول بتعيين الأساقفة على أن يوافق البابا على ذلك التعيين.

وعلى الرغم من أن هذه الاتفاقية اعتبرت تنازلا عن أحد مكاسب الثورة، فقد كان بونابرت أبعد نظرا، حيث أرسى جماهير الفلاحين الذين كانوا يرغبون في التمسك بضرورة التقرب من الكنيسة. كما أنشأ بونابرت نظاما قوميا للتربية والتعليم، واهتم بالتعليم الفني. يضاف إلى ذلك أن أهم إنجازات بونابرت الخالدة وأهمها كانت وضعه للقانون المدني الفرنسي حيث شكل من أجل هذا الغرض لجنة تضم أكبر المشرعين الفرنسيين وقد وضع بونابرت في هذا القانون آراءه ونظراته للحياة والمجتمع من حيث تقديم سلطة الأب على أسرته، كما اعترف هذا القانون بالزواج المدني وأبقى على الطلاق، وضمن جميع الحريات مثل حرية الفكر والقول والعقيدة والعمل، وقد عرف هذا القانون باسم قانون نابليون وتم إصداره في عام ١٨٠٤.

ويعتبر هذا القانون من أشهر الموسوعات القانونية في العالم من حيث التركيز على المساواة الاجتماعية والتسامح الديني واحترام الحياة العائلية والملكية الخاصة وبمقتضاه نعمت فرنسا بتثبيت سلطة الأب في مجال الأسرة كما تمتع الشعب الفرنسي بحق الملكية الخاصة وبحياة حرة مستقيمة في ظل اطار تشريعي سليم، وإلى جانب ذلك أهتم بونابرت بقضايا التعليم، وعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها وخاصة في التعليم الثانوي والجامعي، وأنشأ مدارس ثانوية رسمية تمولها الدولة واهتم بالتعليم الفني كما أنشأ جامعة رسمية في عام ١٨٠٨م تدار مباشرة من قبل الدولة ويتعلم فيها الطلاب سائر ألوان العلوم والمعرفة وأناط بها الاهتمام بالثقافة والفنون والآداب وتشجيع روح الدقة العلمية في الإدارات والمصالح الحكومية.

كل هذه الإصلاحات جعلت للقنصل الأول بونابرت من الشعبية ما جعل الفرنسيين ينادون به قنصلا مدى الحياة، ثم امبراطورا لفرنسا على أمل أن يمنع بيلاده التي انتهكتها الحروب السلام والرفاهية، ولكن كل هذه الآمال قد تبددت نظرا لأن سياسة نابليون كانت دائما تثير مخاوف منافسيه وخاصة بريطانيا.

ونتيجة لرضاء الشعب الفرنسي عن أعمال بونابرت تقدم البعض باقتراح تجديد مدة قنصليته لفترة أخرى تبلغ عشر سنوات عرفانا بفضلها في اقرار السلام، والإصلاحات الداخلية التي أسعدت شعبه.

ورغبة في استئثار بونابرت بالانفراد بدفة الحكم تم تعديل هذا الاقتراح بتجاوب منقطع النظير من قبل الشعب الفرنسي ومجلس الشيوخ فتولى بونابرت القنصلية مدى الحياة كما أدخلت بعض التعديلات على الأجهزة الدستورية بحيث أصبحت فرنسا تعيش في ظل حكومة فردية، وظلت شعبية بونابرت في ازدياد خصوصا بعد أن ازدادت المؤامرات ضده واستمرت كراهية أوروبا ولاسيما بريطانيا له ونتيجة لذلك أعلنت فرنسا عن تقهتها التامة ببونابرت ومنحته لقب امبراطور الفرنسيين في ١٨ من مايو ١٨٠٤ وذلك بعد صدور قرار من مجلس الشيوخ، وبعد استفتاء حصل فيه على اغلبيه الأصوات، ولما كانت علاقة فرنسا بالبابوية في ذلك الوقت طيبة فقد حضر البابا "بيوس التاسع" من كرسيه بروما إلى باريس ليتوج نابليون وزوجه جوزفين في كنيسة نوتردام، وفي حفل مهيب اختطف نابليون التاج من يد البابا وتوج نفسه بنفسه كما توج جوزفين أيضا ثم أقسم يمين الامبراطورية. واستمر امبراطورا حتى عام ١٨١٥ كان خلالها أكبر شخصية سياسية وعسكرية في أوروبا، ومن عمالة التاريخ الذين يشار إليه بالبنان.

نعود إلى الظروف الخارجية التي أحاطت بفرنسا خلال هذه الفترة فنقول أن صلح "أميان" بين الفرنسيين والانجليز لم يستمر طويلا إذ سرعان ما اندلعت نيران الحرب من جديد بين فرنسا وبريطانيا، ثم بين فرنسا وأعضاء الحلف الثالث الأوربي^(١) فقد قطعت العلاقات بين بريطانيا وفرنسا في مارس ١٨٠٣ على أثر اللقاء نابليون القبض على بعض الانجليز ثم اندلعت نيران الحرب التي لم تقتصر على الدولتين المتنافستين بل حاولت كل منهما ربط دول أوروبا بتحالفات معها لدرجة أن انغمست معظم هذه الدول تقريبا في هذا الصراع.

وفي أعقاب ذلك أعاد نابليون احتلال نابولي وحول إيطاليا إلى ملكية وراثية يحكمها ابن زوجته يوجين، وأرسل جيشا إلى هولندا، وتوغلت قواته في ألمانيا واستولت على هانوفر التي كانت تحت التاج البريطاني مما أدى إلى اضطرار الولايات الألمانية إلى محالفته، كما وضع أمراءها أنفسهم تحت حمايته. وإلى جانب ذلك حاول نابليون جر روسيا وبروسيا إلى محالفته ولكنه لم ينجح في ذلك.

(١) كان يتكون من بريطانيا وروسيا، والنمسا، والسويد، وبروسيا.

ونتيجة لاقتراب موعد المواجهة فكر نابليون في توجيه ضربة إلى بريطانيا عن طريق غزوها وقهرها في عقر دارها^(١) وأخذ في اعداد العدة لذلك خصوصا بعد وقوف اسبانيا إلىجانبه، ولكن سرعان ما اتضح له أن النجاح لايمكن أن يكون من نصيب خطته وذلك لقوة البحرية البريطانية، وصعوبة السيطرة على المانش وخاصة بعد قيام الأسطول الانجليزي بقيادة نلمن^(٢) بمباغته الأسطول الفرنسي عند "الطرف الأغر" وهزيمته. ممّا أكد قوة الأسطول الانجليزي أمام منافسه.

وكرد فعل لذلك، وخشية من عواقب الأمور وجه نابليون قواته إلى المانيا حيث احرزت انتصارات رائعة على الجيش النمساوي في أولم Ulm في المانيا، في ٢٠ من أكتوبر ١٨٠٥، أي بعد معركة "الطرف الأغر" بيوم واحد فقط، كما تمكن الفرنسيون من احتلال فينيا، وهزيمة جيشا روسيا نمساويا مشتركا في معركة "اوسترلتز" التي يسميها بعض المؤرخين "موقعة الاباطرة الثلاثة". هذا إلىجانب هزيمتهم للبروسيين في موقعة "جينا" ١٨٠٦ والوصول إلى برلين، ولما لجأ "فردريك وليم الثالث" طالبا حماية روسيا، قام نابليون بتأديب القيصر "اسكندر الأول" وهزم الروس في موقعة "فريدلند" ونتيجة لذلك طلب القيصر الصلح فعقد صلح "تيلست Tilsit" في يوليو ١٨٠٧، وبمقتضاه تخلت بروسيا عن أملاكها غرب نهر الألب، كما اعترف القيصر بالتغيرات التي أحدثها نابليون في المانيا، وتعهد بالانضمام إليه في تنفيذ الحصار القاري على بريطانيا، وفي نظير ذلك تعهد نابليون بمساعدة القيصر في تحقيق مطامعه في فنلنده وتركيا. كل ذلك دفع نابليون إلى ان يوجه كل جهوده ضد بريطانيا التي كانت العقبة الكنود أمام كل أطماعه، ولما كانت هزيمة الانجليز في البحر في حكم المستحيل فقد اتخذ الصراع مع بريطانيا طابعا جديدا كان له أعمق الأثر في تغيير مجرى الحوادث في أوروبا فقد رأى نابليون أن قوة انجلترا تكمن في صادراتها وبأن دول أوروبا هي سوقها الرئيسي وأنه من الممكن بعد ان بسط نابليون سلطانه على أوروبا محاصرة بريطانيا اقتصاديا بأن يفرض عليها حصارا قاريا عن طريق أقصاء السفن الانجليزية عن

(١) جرائد، ص ٢٠٨.

(٢) من المعروف ان القائد "نلمن" هو الذي حطم الأسطول الفرنسي أيضا في موقعة أبي قير البحرية ١٧٩٨، ولكنه لم يصرعه هذه المرة

جميع موانئ أوروبا مما يجعل الانجليز يموتون جوعا ولذلك أصدر "مرسوم برلين" ١٨٠٦ والذي يقضى بفرض حالة حصار دائم على جميع الثغور البريطانية وتحريم كل أنواع التجارة بينها وبين الأراضي التي تخضع لحكم نابليون أو نفوذه، كما حرمت السفن البريطانية من دخول ثغور فرنسا أو حلفائها والا تعرضت للأسر وردت الحكومة البريطانية على ذلك باتهام فرنسا بالخروج على تقاليد الحرب وضربت بريطانيا الحصار على الأراضي والأملاك الفرنسية. وهكذا أقصى نابليون بقرته البحرية بريطانيا عن التجارة مع أوروبا فعزلت بريطانيا بحريتها أوروبا الفرنسية عن التجارة مع بقية العالم، ومما لاشك فيه ان بريطانيا قد تأثرت من هذا الخطر الذي سمي بالنظام القارى فقد تفتت البطالة وكسدت التجارة وكثرت حالات الإفلاس غير أنه وان كانت للأسواق الأوروبية أهمية بالنسبة لبريطانيا فإن باقى العالم كان مفتوحاً^(١) مما جعلها تصمد أمام هذا الحصار بشكل لم يتوقعه نابليون وكان أسوأ نتائج نظام نابليون القارى من نصيب الدول الأوروبية الواقعة تحت السيطرة الفرنسية فقد وجدت هولندة^(٢) فى هذا النظام قضاء تاماً على حياتها التجارية ولم تتلق شكاها أذاً صاغية كما وجدت الدول الأخرى الحليفة لفرنسا أن فى تطبيق الحصار القارى على انجلترا ضرراً كبيراً يمكن أن يؤدى إلى موت شعوبهم جوعاً.

كل ذلك جعل هذه الدول تفكر فى الخروج على هذا الحصار، مما سبب لنابليون كثيراً من المتاعب وكانت البرتغال هى أولى الدول التى خرجت عنه خصوصاً وأن حياتها الاقتصادية تعتمد فى المقام الأول على التجارة مع بريطانيا وحتى لا تحذو الدول الحليفة لفرنسا حذو البرتغال اسرع نابليون بإرسال حملة إلى أسبانيا فى محاولة لتأديب البرتغال، مما أثار الشعور القومى وكان ذلك فاتحة نهاية عصره حيث أصطبغت هذه الحرب بصبغة تختلف تماماً عن كل الحروب الأخرى حيث لم تقتصر الجيوش الفرنسية على محاربة الحكومات وجيوشها النظامية بل أصبحت فى مواجهة الشعوب التى أخذت تضطلع بدور تلقائى فى محاربة الغزاة. فالجيوش الفرنسية التى لم تهزم من قبل على أيدي جيوش نظامية قبل عام ١٨١٣ أصبحت تواجه جيوشاً شعبية فى أودية اسبانيا وجبال التيرول مما أنهلك قواها بدرجة كبيرة وأدى إلى بث الرعب بين أفرادها، ولوقعتها فى ورطة لم تكن فى حساباتها.

(١) جرائد ، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) كانت يحكمها وهنرى لويس بوناپرت.



نابليون مع حنك باريس في التست

يضاف إلى ذلك تورط نابليون باصطدامه مع الشعور الديني في أوروبا خصوصا بعد أن قام في مايو ١٨٠٨ بضم أملاك البابا إلى فرنسا ورد البابا على ذلك بحرمانه من غفران الكنيسة، مما جعل نابليون يأمر بالقبض على البابا وسجنه في بلاده قريبة من مدينة جنوة مما أثار ثائرة الشعوب الكاثوليكية ضده، وجعل البابا يرفض تثبيت الأساقفة المعيّنين في فرنسا من قبل نابليون مما تسبب في جعل ٢٧ أسقفة شاغرة في فرنسا. وكان رد نابليون على ذلك هو إصدار قرار يخول لرؤساء الأساقفة حق تثبيت أساقفة فرنسا وأعطاهم السلطة الروحية طالما أصر البابا على عناده.

ونتيجة ذلك ظهرت بارقة الأمل في أماكن تحرر أوروبا من سيطرة نابليون. لقد دفعت العاطفتان الرئيسيتان عند الشعب الأسباني وهما الدين والعزة القومية إلى مقاومة الفرنسيين بعناد، وراحت الأقاليم والمدن الأسبانية تعلن تلقائيا رفضها لحكم نابليون، وأعلنت بريطانيا استعدادها لتقديم المعونة لكل من أسبانيا والبرتغال، وتمكن الأسبان من الحاق أول هزيمة جدية بجيوش نابليون عند "بايلن Baylen" وأرغموها على إخلاء مدريد كما أجبروا أحد القادة الفرنسيين على التسليم بقواته المكونة من ٢٣ ألف جندي مما شحذ الهمم وأثار دهشة أوروبا وكان فاتحة عهد جديد لها. كل ذلك اضطر نابليون إلى الحضور بنفسه لتولي زمام الأمور ورد هبة الجيوش الفرنسية فاحتل مدريد وبعث بأهلها حتى دانت له العاصمة الأسبانية. ولكن ذلك لم يستمر طويلا حيث بدأ الأسبان حروبهم غير النظامية بطريقة ملفتة للانتظار خاصة بعد أن اظهر الرهبان والزرع منهم قدرة خارقة في الدفاع عن بلادهم.^(١) مما استنزف القوات الفرنسية، وجعل حروب اسبانيا بالنسبة لهم وكأنها السرطان الذي يستنزف قواهم، ونتيجة لذلك لعبت الروح القومية بين الأوربيين دورها، فبادرت أوروبا بمساعدة اسبانيا، والانقضاض على حكم نابليون، كما انتهزت بريطانيا الفرصة فأرسلت جيشا إلى البرتغال لمساعدة الأسبان والبرتغاليين في دحر القوات الفرنسية. كما ولدت أوروبا الفرصة للتخلص من الحصار القاري الذي فرضه نابليون عليها والذي أدى إلى الركود الاقتصادي وخفض مستوى المعيشة فحاولت النمسا في عام ١٨٠٩ استفزاز القوات الفرنسية مما أدى إلى إعلان نابليون للحرب على النمسا، ومع أن القوات النمساوية أظهرت مقاومة مستميتة، فاتها

(١) جرافت: المرجع السابق، ص ٢٣٩-٢٤٢.

لم تستطع الصود أمام القوات الفرنسية، فسرعان ما حلت بها الهزائم وفتحت أبواب "فيينا" أمام نابليون في مايو ١٨٠٩.

وإلى جانب ذلك بدأت بروسيا استعداداتها لخوض غمار حرب التحرير كما أخذ الرأي العام الأوربي يتجه إلى مناوأة نابليون بصورة متزايدة، وأخذ الشعور القومي في أوروبا يقوى ويتزايد، وظلت الحرب الأسبانية مستعرة الأوار. وقبل أن يتمكن نابليون من اخماد هذه الحركات جاءه من الشرق خطر اشد فقد قرر قيصر روسيا الانسحاب من الحصار القسارى واستئناف علاقات بلاده مع بريطانيا مما أدى إلى فرط عقد التحالف بينه وبين فرنسا وبداية الاحتكاك مع نابليون الذى جهز جيشا قوامه ستمائة ألف مقاتل لغزو روسيا، وكانت خطة القيصر لمواجهة هذا الغزو تتركز فى استكراج الفرنسيين إلى داخل بلاده دون الاصطدام بهم فى معركة فاصلة ولتحقيق ذلك أمر جيوشه بالتقهقر أمام القوات الفرنسية، وإخلاء المدن والقرى من الزاد والعتاد والسكان قبيل استيلاء الفرنسيين عليها، مما شجع القوات الفرنسية على التوغل فى الأراضي الروسية رغبة فى اللحاق بها وهزيمتها وإجبار القيصر على الصلح وبعد أن زحفت القوات الفرنسية إلى موسكو وتوقعت الظفر، وجدت أن أحلامها قد باءت بالفشل حيث وجدت موسكو قاعا صافصفا إذ هجرها سكانها بعد أن أحرقوا كل ما كان فيها من مؤن وجياد. ولما حاول بوناپرت التفاوض مع قيصر روسيا وعقد اتفاق للصلح رفض القيصر طلبه. ونظرا لضرارة الأحوال الجوية وقسوة شتاء موسكو اضطرت القوات الفرنسية إلى الارتداد والانسحاب من روسيا فى ١٩ من أكتوبر على أمل أن تعود إلى بلادها سالمة، ولكن القائد الروسى " كوتوزوف " سد الطرق أمامها وجردها من كل امكانات الحياة، فنزلت بها مصائب الجوع والمرض والبرد، والهلاك، ونتيجة ذلك خسر الجيش الفرنسى الآلاف من جنوده فى أكبر كارثة حاقت به لدرجة أن قدرت خسائر نابليون على الجبهة الروسية بحوالى ١٧٠ ألف قتيل.

ونتيجة للانباء الواردة من موسكو والخسائر التى منى بها نابليون وجدت الدول الأوربية الرازحة تحت حكم نابليون الفرصة للتفيس عما يجيش فى صدرها ضده، فسرت فى النفوس روح المقاومة وسرعان ما انضمت بروسيا والروسيا والولايات الألمانية الوسطى والشمالية لمواجهة قوات نابليون، وعلى الرغم من خطورة موقف نابليون فإنه لم ييأس بل أخذ فى استعادة قواه بعد نكبته فى روسيا ودعا الشعب الفرنسى إلى بذل النفس والنفيس دفاعا عن

امجاد فرنسا حتى وصل عدد جنوده إلى ما يقرب من النصف مليون، وخلال ذلك حاول نابليون أن يفرض على أوروبا الصلح بنصر مؤزر، وكان يأمل في إبقاء بروسيا والنمسا إلى جانبه، ولكن الشعب الروسى أرغم ملكه فردريك وليم على الامتناع عن مساعدة الفرنسيين، والاتضمام إلى قيصر روسيا حتى يتم القضاء على سلطان نابليون فى أوروبا، وفعلت النمسا ما فعلته بروسيا، ومع كل ذلك استطاع نابليون أن يهزم البروسيين والروس فى معركتى "لترن" و"بوترن" ولكن هذه الانتصارات لم تكن لها فاعليتها حيث أن أوروبا قد تغيرت ودبت فيها الروح القومية فتراجع الحلفاء المنهزمين شرقا، ونظموا صفوفهم استعدادا لمعارك أخرى، وجمعوا ما يقرب من مليون رجل وقرروا استئناف قوى نابليون بالدخول مع قواته فى سلسلة من الهجمات غير الحاسمة، ولما حاول نابليون عقد الهدنة مع خصومه طلبوا منه عودة لملكهم إليهم فرفض وقرر نابليون أن أعداءه يستعدون إلى مهاجمته فسبقهم إليهم وأحرز نصرا كاملا ولكن ضباطه فشلوا فى تعزيز خططه. وفى ١٦ أكتوبر ١٨١٣ بدأت معركة ليزج Leipzig أو " حرب الأمم" ودار القتال فيها طوال ثلاثة أيام ولم يكن كله فى صالح الحلفاء فقد بلغت الخسائر حوالى ١٣٠,٠٠٠ رجل منهم حوالى ٥٤,٠٠٠ من الفرنسيين وفر هو والباقيين من رجاله إلى الراين بعد أن فتك المرض بأفراده فتكا ذريعا وسرعان ما استسلمت الحاميات التى تركها نابليون وراءه فى ألمانيا وعددها حوالى ١٩٠,٠٠٠ رجل فلم يبق أثر لسلطان نابليون شرقى الراين، وكانت الجيوش الفرنسية قد سحبت كلها تقريبا من اسبانيا وأصبح على فرنسا أن تواجه أهوال الغزو التى أذاقتها للعديد من بلدان أوروبا وكانت فرنسا قد سئمت الحرب ونضبت معينها من الرجال ولحق الخراب بتجارها وتجارس البعض على النطق مرة أخرى بشعارات الثورة ورأى الملكيون أن الفرصة سانحة لعودة آل بربون إلى الحكم، ومع ذلك ظلت هناك طائفة تنتظر إلى نابليون نظرة تقدير إذ كان يمثل فى رأى الكثير من الفرنسيين رمز الدفاع عن أرض الوطن، وخلال ذلك الوقت العصيب بالنسبة لفرنسا تجلت عبقرية نابليون العسكرية كقائد استراتيجى يمتلك قوة خارقة، واعصاب حديدية استطاع أن يحيل الهزيمة إلى نصر ويلحق بقوات الحلفاء الهزيمة على أرض فرنسا مرتين ونتيجة لذلك أصبح نابليون شخصية شعبية من جديد، وهب الفلاحون فى أقاليم كثيرة من فرنسا يحملون السلاح، ودارت مفاوضات بقصد تسوية الأمور ولكن الآمال سرعان ما تبددت

ولم يبق مفر سوى الاستمرار في الحرب.^(١) وواظم نابليون جسارته المعهودة، وأحرز الكثير من النجاح ولكن مركزه بدأ يتزعزع خصوصا وأن قواته كانت تعاني الكثير من الأرهاق ولم تكن باريس على استعداد لتحمل ضربات العدو أو رده على اعقابها على حين كان أعداؤه يملكون احتياطيًا ضخما من العتاد والرجال، وبدأ الحلفاء يتقدمون نحو باريس، وهم يعلنون أنهم لا يحاربون الشعب الفرنسي وإنما يحاربون نابليون ومع ذلك فقد دافع الشعب الفرنسي عن بلاده دفاعا مجيدا، وتبادلت القوات المتحاربة الانتصارات والهزائم، وفقد الطرفان الكثير من الأرواح، وفي نهاية الأمر تمكن الحلفاء من دخول باريس في مارس ١٨١٤.

وعلى الرغم من ذلك فقد راودت نابليون فكرة المقاومة ومواصلة الحرب من خارج باريس ولكنه سرعان ما غير موقفه خاصة بعد أن وجد أن قواته قد سئمت القتال وأن الروح المعنوية بين أفرادها أخذت في الانهيار؛ فوقع في ٦ من إبريل ١٨١٤ وثيقة تنازله عن العرش لابنه على أن يكون تحت وصاية زوجته "ماري لويز"،^(٢) ولكن الحلفاء رفضوا ذلك، وطلبوا من نابليون التنازل عن العرش دون قيد أو شرط، ونتيجة للضغط المتزايدة وقع نابليون وثيقة التنازل، وفحواها أنه نظرا لأن الدول المتحالفة أعلنت أن الامبراطور نابليون هو العقبة الوحيدة في طريق إعادة اقرار السلم في أوروبا فإن الامبراطور وفاء منه لليمين الذي أداه يعلن تنازله هو وورثته من بعده عن عرش فرنسا وإيطاليا.

ونتيجة لذلك أبرمت الدول المتحالفة اتفاقا مع حكومة فرنسا ينص على نفى نابليون إلى جزيرة "إلبا" Elba بالقرب من سواحل إيطاليا.^(٣) على أن يقوم بحكم هذه الجزيرة وتكون ملكا له يقيم بها ولا يغادرها على أن تكون خاضعة لسيادته سياسيا وإداريا ويتبعه إليها جيش صغير مؤلف من أربعمائه جندي يختارهم من بين فرقة الحرس الامبراطوري، وثلاثة قواد وقررت له مليونين من الفرنكات كنفقة سنوية تقدمها إليه الحكومة الفرنسية.

وقد حل نابليون بمنفاه في الرابع من مايو ١٨١٤، حيث استقبله أهل الجزيرة بمظاهر العطف والترحاب ومع أن سقوط نابليون قد أدى إلى تسوية العديد من المشاكل فإنه أوجد مشكلة جد خطيرة وهي: من الذي يحكم فرنسا من بعده، وإخيرا استقر الرأي على عودة أسرة

(١) جرائد، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٢) بعد أن طلق نابليون زوجته جوزفين تزوج من الارشيدوقة ماري لويز ورزق منها ولد ذكرا في ٢٠

مارس ١٨١١.

(٣) جزيرة صغيرة تقع على الشمال الشرقي من جزيرة كورسيكا وكانت من املاك إيطاليا.

آل بربون إلى عرش فرنسا ممثلة في شخصية لويس الثامن عشر^(١) على أن يكون حكمه دستوريا، ونتيجة لذلك عاد الحكم الملكي إلى فرنسا في مايو ١٨١٤.

كما تم الاتفاق بين الحلفاء في مؤتمر فينا في سبتمبر ١٨١٤ على عودة فرنسا إلى حدودها قبيل الثورة، يضاف إليها بعض البقاع عند حدودها الشمالية والشرقية مما يوضح أن الحلفاء لم يكونوا متشددين في حكمهم نحو فرنسا خاصة وأنهم كانوا يرغبون في استقرار عودة السلام إلى أوروبا، ورغم كل ذلك فقد انتهز نابليون فرصة اختلاف الحلفاء فيما بينهم على تقسيم الغنائم، وعاد إلى فرنسا وسط ترحيب السواد الأعظم من الشعب الفرنسي بمقدمه وفي مقدمتهم رجال جيشه مما اضطر الملك والنبل إلى مغادرة البلاد.

وبعد أن تجمع حول نابليون جيشه القديم دخل باريس في ٢١ من مارس ١٨١٥ وأخذ في إعادة تنظيم قواته ثم توجه إلى جبهة القتال في ١٢ من يونيو هادفا إلى توجيه ضربة قوية إلى القوات البريطانية والبروسية قبل أن يتمكن من حشد قواتهما، وحرز نصرا محسوسا ضد البروسيين في "ليني".

ونتيجة لذلك أوقف الحلفاء أعمال مؤتمرهم، وأعلنوا أن نابليون رجل معزول لا يحميهم قانون، وتحالفوا في التخطيط لحرب بهدف القضاء عليه، وقرروا غزو فرنسا مرة أخرى، فقابلهم نابليون في معركة "وترلو Waterloo" في ١٨ يونيو حيث دارت معارك ضارية مزق فيها المتحالفون آخر من تبقى من جيوش نابليون فقد أصيبت قوات نابليون بهزيمة قاسية راح ضحيتها أكثر من ثلاثين ألف قتيل وعلى أثر ذلك استسلمت باريس للحلفاء، وحاول نابليون الفرار إلى أمريكا، ولكن الانجليز تمكنوا من القبض عليه، وقاموا بنفيه إلى جزيرة القديسة "هيلانة" في جنوب المحيط الأطلسي تلك الجزيرة النائية السحيقة الجرداء في وسط المحيط حيث قضى السنوات الست الأخيرة من حياته يقاسى آلام التعنت من حاكمها المسير "هدسون لاو" الذي كانت مهمته الإجهاد على الإمبراطور والتتكيل به، فتخير لسكن نابليون منزلا حقيرا أكلت الرطوبة بياض جدرانه، واتخذت الجردان جحورها في زواياه وأركانه فكانت إذ جن الليل تخرج لترتع فوق سريره وتاكل كتبه وأوراقه، ولم يدع فرصة للتتكيل بنابليون الا واعتمها حتى مات الإمبراطور المريض في ٥ مايو ١٨٢١ وحيدا شريدا مجردا

^(١) شقيق لويس السادس عشر، علما بأن لويس السابع عشر ابن ماري أنطوانيت قد توفي في سجنه أثناء الثورة.

من أبسط الحقوق الانسانية، ودفن فى نفس الجزيرة وأقيم حول قبره جنود لحراسة بقايا الميت الذى بلغ من احتقار حاكم الجزيرة له انه لم ياذن فى كتابه اسم نابليون على القبر مع أنه الرجل الذى ظل اسمه يرهب أوروبا كلها حتى بعد وفاته.

والى جانب ذلك فقد ظلت بقايا أموال نابليون ووصيته فى حيازة الحكومة الانجليزية التى رفضت ان تسلمها لفرنسا.

وهكذا انتهت قصة حياة أحد عباقرة أوروبا العسكريين وأكثر الشخصيات تأثيرا فى مجرى تاريخ أوروبا، القرن التاسع عشر بعد أن قدم لبلاده كل ما يملك من جهود ليس فقط فى النواحي العسكرية بل فى النواحي السياسية والعلمية والادارية والتشريعية وغيرها. وقد عبر نابليون عن ذلك فى مذكراته بأبلغ تعبير حيث قال " أن الذى لم يمح أبدا هو قانونى المدنى، ومحاضر مجلس دولتى، ومكاتباتى مع وزرائى ، قانونى بيساطة جلب الخير أكثر مما جلبت القوانين السابقة، ومدارسى والطرق التى ابتكرتها للتعليم أوجنت جيلا جديدا، كما نقصت الجرائم فى عهدى وزادت فى انجلترا.... وقد أردت تأسيس نظام واحد لأوروبا، ووضع قانون واحد وانشاء محكمة نقض واحدة لها. ولو تم هذا لبات فى أوروبا شعب واحد." (١)

وعلى كل حال فبعد ووترلو تغيرت معاملة الحلفاء لفرنسا وفرضت غرامات حربية عليها كما تم تضيق رقعة حدودها بحيث عادت إلى ما كانت عليه عام ١٧٩٠. وترتب على ذلك أن تؤول بعض المواقع العسكرية إلى ايدى اعداء فرنسا، وان تفرض عليها غرامة حربية، ويحتل اجزاء منها جيوش اعدائها.

والسؤال المطروح هو هل تنفست أوروبا الصعداء بوفاة نابليون.

الواقع أنه بالرغم من أن دول أوروبا قد استراحت من هذا الكابوس الذى أفض مضجعها نحو ربع قرن من الزمان فان رجال السياسة فيها ظلوا ربحا من الزمن وشبح نابليون يتمثل لهم اينما ساروا وكيفما توجهوا، كما ظلت المخاوف تساورهم خصوصا وان الامبراطورة "مارى لويوز" ارملة نابليون كانت تطمع فى تنفيذ وصية زوجها بان يرتقى عرش

(١) لويل لودفيج: نابليون - ترجمة محمود ابراهيم الدسوقي، القاهرة، دار الكتب المصرى، ص ٢٩٠.

فرنسا لئنهما " الملقب بالنسر " هذا إلى جانب ان عرش أسرة البربون التي عادت إلى حكم فرنسا لم تكن ركائزه وطيدة.

وعلى الرغم من عودة أسرة البربون إلى فرنسا بعد "وترلو" فإن الأمور لم تتغير كثيرا في نظام المجتمع الفرنسي، ولم يفكر أحد في إلغاء القوانين التي صدرت أيام الثورة أو أعادت امتيازات الملكية أو النبلاء، وإلى جانب ذلك ناهض العديد من الفرنسيين النظام الملكي، وكان محل كراهيتهم خصوصا وأنه أعيد إلى فرنسا على أسنة حراب الحلفاء المنتصرين عليها ونتيجة لهذه الأمور كان مركز "لويس الثامن عشر" (١٨١٤-١٨٢٤) حرجا للغاية. ومع ذلك فقد استطاعت فرنسا في عهده تنظيم ماليتها، ودفع الغرامة الحربية التي فرضتها الدول المنتصرة عليها، وان يسترجع مكانتها السياسية بين الدول الأوروبية.

وبعد أن توفي لويس الثامن عشر خلفه على عرش فرنسا "شارل العاشر" (١) ذلك الملك الذي حاول العودة بفرنسا إلى نظام ما قبل الثورة، فأمر بالحد من حرية الصحافة، وحل البرلمان، ومنح تعويضات مالية للنبلاء المهاجرين، مما أدى إلى خلاف حاد بينه وبين الشعب انتهى بإقصائه عن العرش، وتولية لويس فليب مكانه.

وقد قبل الملك الجديد الانضواء تحت علم الثورة الفرنسية ذي الثلاثة ألوان، والسير بمقتضى النظم الديمقراطية مما جعله يحصل على رضا الشعب الفرنسي وتأييده (٢). وبخاصة وأنه كان خبيرا بشئون الحكم ويملك من القدرة والذكاء ما مكنه من إدارة دفة الأمور بحكمة واقتدار، ومع ذلك فقد جلب تساهله الزائد مع بريطانيا، وعدم اهتمامه بأمر رجال الدين إلى اصطدامه مع التيار الليونابرتي الذي كان يترعاه لويس بوناپرت، وأعاد فيه إلى الأذهان اسم نابليون وانتصاراته وأمجاده، وإلى اصطدامه أيضا مع التيار الجمهوري الاشتراكي الذي كان ينادى به أتباع سان سيمون، ويدعو إلى ضرورة تنظيم العمل وإلغاء مبدأ التوريث، وإصلاح

(١) تم غزو الجزائر في عهده، ويذكر رفاعة الطهطاوى الذى كان موجودا في فرنسا خلال هذه الفترة أنه عندما جاء خبر وقوع الجزائر في يد الفرنسيين إلى وزراء "بولنيك" أمر- بإطلاق مدافع الفرح والمسور، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال حيث تم الإطاحة به وبملكه في العاشر من يوليو ١٨٣٠.

قطر: تخلص الأبريز في تلخيث باريز، طبعة ١٩٥٨، ص ٥٠.
(٢) تعرض رفاعة للخطوات الدستورية التي اتخذت لتولية "لويس فليب" ملكا على الفرنسيين، وكيف قبض الشعب الفرنسي على وزراء شارل العاشر وكيف حاكمهم، ويذكرنا إعجاب رفاعة بنظام القضاء في فرنسا بما سبق من إعجاب المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي به عند تعرضه لمحاكمة سليمان الحلبي قاتل كليبر. أنظر تخلص الأبريز، ص ٢٦.

أحوال الطبقات ولما قاومت الحكومة هذه المطالب وجدت نفسها أمام عصيان شعبي، مما دفع الملك إلى التنازل عن العرش والهرب من إنجلترا.
وخلال ذلك برزت فكرة الجمهورية على مسرح الأحداث وتزعمت باريس الدعوة إليها.

وفي الاستفتاء الشعبي الذي عقد في العاشر من ديسمبر ١٨٤٨م، لانتخاب رئيس الجمهورية نال لويس بوناپرت معظم أصوات الناخبين، ونتيجة ذلك دخلت فرنسا مرحلة جديدة من حياتها.



الامبراطور نابليون الأول